

مختصر ابن كثير

- 77 - يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون .
- 78 - وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير .
- اختلف في هذه السجدة الثانية على قولين وقد قدمنا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " فضلت سورة الحج بسجدة فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما " وقوله : { وجاهدوا في الله حق جهاده } أي بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم كما قال تعالى : { اتقوا الله حق تقاته } وقوله : { هو اجتباكم } أي يا هذه الأمة الله اصطفىكم واختاركم على سائر الأمم وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول وأكمل شرع { وما جعل عليكم في الدين من حرج } أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا ولهذا قال عليه السلام : " بعثت بالحنيفة السمحة " وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما أميرين إلى اليمن : " بشرنا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا " والأحاديث في هذا كثيرة ولهذا قال ابن عباس في قوله : { وما جعل عليكم في الدين من حرج } يعني من ضيق وقوله : { ملة أبيكم إبراهيم } قال ابن جرير : نصب على تقدير { ما جعل عليكم في الدين من حرج } أي من ضيق بل وسعه عليكم كلمة أبيكم إبراهيم ويحتمل أنه منصوب على تقدير الزموا ملة أبيكم إبراهيم .
- (قلت) : وهذا المعنى في هذه الآية كقوله : { قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا } الآية وقوله : { هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا } قال ابن عباس في قوله : .
- { هو سماكم المسلمين من قبل } قال : D . وقال ابن أسلم { هو سماكم المسلمين من قبل } يعني إبراهيم وذلك لقوله : { ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك } وقد قال الله تعالى : { هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا } قال مجاهد : الله سماكم المسلمين في قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر { وفي هذا } يعني القرآن وكذا قال غيره .
- (قلت) : وهذه هو الصواب لأنه تعالى قال : { هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج } ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه ملة إبراهيم الخليل ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء يتلى على الأحرار والرهبان فقال : { هو سماكم المسلمين من قبل } أي من قبل هذا القرآن { وفي هذا } روى النسائي عن الحارث الأشعري عن رسول الله صلى

اﻟﻌﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻗﺎﻝ : " ﻣﻦ ﺩﻋﺎ ﺑﺪﻋﻮﻯ ﺟﺎﻫﻠﻴﻪ ﻓﺈﻧﻪ ﻣﻦ ﺟﺜﻲ ﺟﻪﻧﻢ " ﻗﺎﻝ ﺭﺟﻞ : ﻳﺎ ﺭﺳﻮﻝ
اﻟﻠﻪ ﻭﺇﻥ ﺻﺎﻡ ﻭﺼﻠﻰ ؟ ﻗﺎﻝ : " ﻧﻌﻢ ﻭﺇﻥ ﺻﺎﻡ ﻭﺼﻠﻰ " ﻓﺎﺩﻋﻮﺍ ﺑﺪﻋﻮﻩ اﻟﻠﻪ ﺍﻟﺘﻲ ﺳﻤﺎﻛﻢ ﺑﻬﺎ
ﺍﻟﻤﺴﻠﻤﻴﻦ ﺍﻟﻤﺆﻣﻨﻴﻦ ﻋﺒﺎﺩ اﻟﻠﻪ " (ﺁﺧﺮﺟﻪ ﺍﻟﻨﺴﺎﺋﻲ ﻓﻲ ﺳﻨﻨﻪ) ﻭﻟﻬﺬﺍ ﻗﺎﻝ : { ﻟﻴﻜﻮﻥ ﺍﻟﺮﺳﻮﻝ
ﺷﻬﻴﺪﺍ ﻋﻠﻴﻜﻢ ﻭﺗﻜﻮﻧﻮﺍ ﺷﻬﺪﺍﺀ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻨﺎﺱ } ﺃﻱ ﺇﻧﻤﺎ ﺟﻌﻠﻨﺎﻛﻢ ﻫﻜﺬﺍ ﺃﻣﻪ ﻭﺳﻄﺎ ﻋﺪﻭﻻ ﺧﻴﺎﺭﺍ
ﻣﺸﻬﻮﺩﺍ ﺑﻌﺪﺍﻟﺘﻜﻢ ﻋﻨﺪ ﺟﻤﻴﻊ ﺍﻟﺄﻣﻢ ﻟﺘﻜﻮﻧﻮﺍ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﻘﻴﺎﻣﻪ { ﺷﻬﺪﺍﺀ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻨﺎﺱ } ﻟﺄﻥ ﺟﻤﻴﻊ ﺍﻟﺄﻣﻢ
ﻣﻌﺘﺮﻓﻪ ﻳﻮﻣﺌﺪ ﺑﺴﻴﺎﺩﺗﻬﺎ ﻭﻓﻀﻠﻬﺎ ﻋﻠﻰ ﻛﻞ ﺃﻣﻪ ﺳﻮﺍﻫﺎ ﻓﻠﻬﺬﺍ ﺗﻘﺒﻞ ﺷﻬﺎﺩﺗﻬﻢ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﻘﻴﺎﻣﻪ
ﻓﻲ ﺃﻥ ﺍﻟﺮﺳﻞ ﺑﻠﻐﺘﻬﻢ ﺭﺳﺎﻟﻪ ﺭﺑﻬﻢ ﻭﺍﻟﺮﺳﻮﻝ ﻳﺸﻬﺪ ﻋﻠﻰ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﺄﻣﻪ ﺃﻧﻪ ﺑﻠﻐﻬﺎ ﺫﻟﻚ ﻭﻗﺪ ﺗﻘﺪﻡ
ﺍﻟﻜﻼﻡ ﻋﻠﻰ ﻫﺬﺍ ﻋﻨﺪ ﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﻛﺬﻟﻚ ﺟﻌﻠﻨﺎﻛﻢ ﺃﻣﻪ ﻭﺳﻄﺎ } ﻭﻗﻮﻟﻪ : { ﺃﻗﻴﻤﻮﺍ ﺍﻟﺼﻼﻩ ﻭﺃﺗﻮﺍ
ﺍﻟﺰﻛﺎﺓ } ﺃﻱ ﻗﺎﺑﻠﻮﺍ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﻨﻌﻤﻪ ﺍﻟﻌﻄﻴﻤﻪ ﺑﺎﻟﻘﻴﺎﻡ ﺑﺸﻜﺮﻫﺎ ﻓﺃﺩﻭﺍ ﺣﻖ اﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻜﻢ ﻓﻲ ﺃﺩﺍﺀ ﻣﺎ
ﺍﻓﺘﺮﺽ ﻭﺗﺮﻙ ﻣﺎ ﺣﺮﻡ ﻭﻣﻦ ﺃﻫﻢ ﺫﻟﻚ ﺇﻗﺎﻡ ﺍﻟﺼﻼﻩ ﻭﺇﻳﺘﺎﺀ ﺍﻟﺰﻛﺎﺓ { ﻭﺍﻋﺘﺼﻤﻮﺍ ﺑﺎﻟﻠﻪ } ﺃﻱ ﺍﻋﺘﻀﺪﻭﺍ
ﺑﺎﻟﻠﻪ ﻭﺍﺳﺘﻌﻴﻨﻮﺍ ﺑﻪ ﻭﺗﻮﻛﻠﻮﺍ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺗﺄﻳﺪﻭﺍ ﺑﻪ { ﻫﻮ ﻣﻮﻻﻛﻢ } ﺃﻱ ﺣﺎﻓﻈﻜﻢ ﻭﻧﺎﺼﺮﻛﻢ ﻭﻣﻄﻔﺮﻛﻢ ﻋﻠﻰ
ﺃﻋﺪﺍﺋﻜﻢ { ﻓﻨﻌﻢ ﺍﻟﻤﻮﻟﻰ ﻭﻧﻌﻢ ﺍﻟﻨﺼﻴﺮ } : ﻳﻌﻨﻲ ﻧﻌﻢ ﺍﻟﻮﻟﻰ ﻭﻧﻌﻢ ﺍﻟﻨﺎﺼﺮ ﻣﻦ ﺍﻟﺄﻋﺪﺍﺀ